



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



واقع الريف بمنطقة الشلف أواخر الفترة الاستعمارية (1962-1945)

Rural reality in the Chlef area at the end of the colonial period (1945-1962)

عبد القادر بوتشيش^{*1}

¹ جامعة حسيبة بن بوعلي - أولاد فارس الشلف (الجزائر).

Key words:

Country.
Agriculture.
Camps.
Revolution.
Chelif.

Abstract

The research aims to identify the reality of the countryside in the region of Chlef at the end of the colonial period (1945-1962). This is one of the most difficult periods for the rural population of the Chlef region over the last century, given the succession of major events and disasters that the region has experienced. After the Second World War and its devastating consequences for the Algerians, the earthquake of September 1954 hit the region and added suffering to the population, in general, and of the rural areas, in particular.

The earthquake coincided with the outbreak of the Algerian revolution, which was accompanied by severe repression carried out by the colonial authorities as part of what they referred to as "the policy of pacification" at the time. The latter aimed to thwart the revolution by isolating it from the rural population and depriving it of all means of support and sources of supplies. To this end, detention camps, regrouping centers, as well as military campaigns were established.

During the colonial period, the countryside of the Chelif region suffered from marginalization. The attention of the colonial authorities was strongly focused on the cities where the settlers live who had acquired the best lands of the plains and left the poorest and most rugged to the Algerian peasants

Research Material is from French sources and testimonies of witnesses who lived this period. I tried to make a comparison between what the French sources wrote and what the witnesses said, to give a closer picture of the reality experienced by the rural people of the Chlef region during the period studied.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2022-12-06

القبول: 2023-05-19

الكلمات المفتاحية:

الشلف

الريف

الزراعة

المحتشدات

الثورة.

يهدف البحث إلى التعرف على واقع الريف بمنطقة الشلف أواخر الفترة الاستعمارية (1945-1962). تعتبر هذه الفترة من أصعب الفترات على سكان الريف في منطقة الشلف خلال القرن الماضي لتتابع الأحداث والكوارث الكبرى التي عرفتتها المنطقة؛ فبعد الحرب العالمية الثانية وما خلفته من نتائج وخيمة على الجزائريين؛ جاء زلزال سبتمبر 1954 الذي ضرب المنطقة ليزيد من معاناة سكان المنطقة عامة والريفيين خاصة.

تزامنت كارثة الزلزال مع اندلاع الثورة والتي صاحبته عمليات القمع الشديد التي قامت بها السلطات الاستعمارية - في إطار ما أسمته آنذاك بسياسة التهدئة والتي كان الغرض منها إفشال الثورة بغزلها عن سكان الريف وحرمانها من كل وسائل الدعم ومصادر التمويل - كإقامة المحتشدات أو مراكز التجميع، وكذلك مراكز الاعتقال والتعذيب وشن الحملات العسكرية.

لقد عانى الريف في منطقة الشلف خلال الفترة الاستعمارية من التهميش. والإهمال الشديدين لأن اهتمام السلطات الاستعمارية كان منصبا على المدن حيث كان يقيم المعمرين الذين استحوذوا على أجود الأراضي في المناطق السهلية وتركوا للفلاحين الجزائريين أفقرها في المناطق الوعرة والجبال.

استمدت مادة هذا البحث من المصادر الفرنسية ومن شهادات الشهود الذين عاشوا الفترة. وحاولت الربط بين ما كتبه المصادر الفرنسية في هذا الموضوع وما ذكره الشهود متحريرا الحقيقة لرسم صورة أقرب للواقع الذي عاشه سكان ريف منطقة الشلف خلال الفترة المدروسة.

1. مقدمة

2. منطقة الشلف: الإطار الجغرافي والحدود الإدارية

تعتبر منطقة حوض الشلف منطقة متميزة من الناحيتين الطبيعية والجغرافية فبالرغم من وقوعها في قلب المنطقة التلية ولا تبعد عن البحر إلا بحوالي 50 كيلومتر في المعدل؛ فإن تأثير البحر قليل في جل مناطقها. كما أنها تأثر جريان نهر الشلف في وسطها أكبر من أي عامل آخر، مما جعل حدودها الإدارية تكاد تنطبق على حدودها الجغرافية.

2.1. الإطار الجغرافي

يقع حوض الشلف إلى الغرب من سهل متيجة وتفصله عنه مرتفعات تربط بين سلسلة جبال زكار - الظهرة وجبال المدية. عمليا يبدأ حوض الشلف من منطقة جندل حيث يتجاوز الارتفاع عن مستوى سطح الأرض الـ 600 متر، لينخفض هذا الارتفاع إلى 300 متر عند مدينة «أفروفي» (خميس مليانة حاليا). ثم يزداد هذا الانخفاض ليصل إلى 164 م عند سهل العطاف حيث بنيت مدينة العطاف، بينما يبلغ الارتفاع عن مستوى سطح البحر 137 م عند مدينة الشلف، و65 م عند مرجة سيدي عابد. (google, 2022)

تحيط السلاسل الجبلية بحوض الشلف من الشمال (الظهرة) ومن الجنوب (الونشريس) وبذلك فهو يتشكل في معظم أجزائه من منخفض منغلّق على التيارات البحرية الرطبة تجعله يتميز بالجفاف والقارية. ويبقى الوادي نفسه أهم ظاهرة تميز سهل الشلف؛ فهو يقطعه من الشرق إلى الغرب ويغذي الوادي مجموعة من الروافد أهمها وادي الفضة ووادي مينا ووادي واصل. (5-Pourcher, 1900, pp. 3)

يعد وادي الشلف وروافده المورد الأساسي لمياه الري في السهل؛ فهو شريان الحياة الاقتصادية لسكان المنطقة كونه يلعب دورا هاما في حياة السكان، مع العلم أن معظم النشاطات الاقتصادية هناك كانت ولا زالت تعتمد على الزراعة.

تتمتع ولاية الشلف بمناخ معتدل نسبيا، طبقاً لمناخ البحر الأبيض المتوسط، لكنه برطوبة مرتفعة نسبيا في الجهة الشمالية (سلسلة جبال الظهرة والشريط الساحلي الممتد على طول مئة وعشرين كيلومتراً، وكذلك في الجنوب (جبال الونشريس) حيث يسود المناخ الرطب بسبب الارتفاع. أما في منطقة الوسط حيث تقع السهول الخصبة على صفاق مجرى الوادي والسفوح الجبلية، فتسود ظاهرة القارية.

إن ظاهرة القارية التي تسود كل حوض الشلف تقريبا عبر عنها بعض الفرنسيين الذين زاروها وخاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أي سنوات التوسع الاستيطاني بها، عبروا عنها بعبارات تنم عن اندهاشهم من قساوة المناخ. فقد وصف رئيس دائرة أوريفنيل سنة 1898 مناخها بأنه مقلق. وقال عنها دي برنارد: «إنها صحراء صغيرة ضائعة بالتل». ووصفها سان آرnod بـ: «روسيا التي اقتحمت المكان بأوريفنيل» (Moati, s.d., p. 11)

تكتسي منطقة حوض الشلف أهمية جغرافية واستراتيجية بارزة جعلتها من أقدم المناطق المأهولة بالسكان في شمال إفريقيا بسبب استمرار تعميرها على مر العصور والأزمنة. كما ظلت مطمح الغزاة والوافدين نظرا لتنوع مواردها الطبيعية وضخامة امكانياتها الاقتصادية.

ساهم هذا الغنى والتنوع في الموارد الطبيعية في تكثيف النشاط الاستيطاني منذ السنوات الأولى لاحتلال المنطقة التي أعقبت تأسيس المركز العسكري في 16 ماي 1843م - من قبل الجنرال «بيجو» وأصبح هذا المركز يعرف فيما بعد باسم: «أوريفنيل».

لقد ادعى الاستعمار الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر أنه جاء لنشر الحضارة والمدنية، وأن هدفه من الحملة تخليص الشعب من الحكم التركي «المقيت». وظل قاداته ورجال السياسة والحكم فيه يعدون الشعب الجزائري، في المناسبات وفي غيرها، أنهم سيحسنون أوضاعه وأن السياسة الاستيطانية ستعود بالنفع على الجزائريين أيضا، وليس على المستوطنين فقط.

لكن الشعب الجزائري لم يستفد من «الانجازات الحضارية» التي أقامها المستعمر، بل بالعكس ازدادت أوضاعه سوءا وضاق به الأمر فعبر عن ذلك بمختلف أشكال المقاومة من المسلحة خلال القرن التاسع عشر إلى المقاومة السياسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

كما عرفت الجزائر في أواخر الحقبة الاستعمارية تحولات كبرى تمثلت في تبلور الحركة الوطنية متأثرة بالأحداث الكبرى التي عرفها العالم وخاصة مجريات الحرب العالمية الثانية ونتائجها.

ولمواجهة هذه التحديات، قامت السلطات الاستعمارية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وخلال الثورة التحريرية (1954 - 1962) بإطلاق بعض المشاريع الإصلاحية وأصدرت نصوص تشريعية الغرض منها كما أعلن حينها تحسين أوضاع الفلاحين الجزائريين.

انطلاقا من هذا التمهيد يمكن طرح الإشكالية عبر الأسئلة التالية: كيف كان واقع الريف في منطقة حوض الشلف أواخر الحقبة الاستعمارية؟ ما هو النشاط الاقتصادي السائد؟ كيف كان الفلاح يواجه متطلبات معيشته اليومية؟ هل استفاد من التشريعات والإصلاحات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية؟

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على حياة سكان الريف بمنطقة حوض الشلف وأثر التواجد الاستيطاني المكثف بالمنطقة على نشاطهم الاقتصادي وأوضاعهم الاجتماعية التي يفترض أنها تحسنت نتيجة جهود الإصلاحات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية.

شكل 1

خريطة الأقاليم الطبيعية في عمالة الشلف



(Moati, s.d., p. 6) المصدر:

أُلحقت الجزائر بفرنسا رسمياً سنة 1848 وقُسمت إلى ثلاث مقاطعات أو عمالات وهي عمالة الجزائر (الوسط) وعمالة قسنطينة (الشرق) وعمالة وهران (الغرب). هذا بالإضافة إلى مناطق الجنوب التي ظلت خاضعة للحكم العسكري، وقد رُقمت تبعاً وتتمت للترقيم المعمول به في الميتربول وأعطيت الأرقام من 91 إلى 94. وهذا التقسيم الإداري لم يكن يختلف عن التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني. (fr-academic., 2022)

وبالنسبة لمنطقة حوض الشلف ظلت تابعة لعمالة الجزائر في كل التقسيمات الإدارية التي عرفتها الجزائر منذ الحاقها رسمياً بفرنسا سنة 1848 إلى غاية سنة 1956 حيث أعيد تقسيم الجزائر إدارياً من جديد، فأنشأت عمالة الشلف وضمت دائرة أورينفيل (عاصمة العمالة) ودائرة مليانة - والتي أُلحقت بها بلديات شرشال (Duplex) وقوراوية وسيدي غيلاس (Novi) - ودائرة تنس ودائرة ثنية الأحد. (6145-Jorf, 1956, pp. 6143).

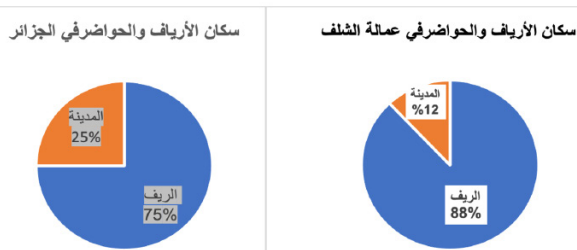
3. واقع اقتصاد الريف في منطقة حوض الشلف

كان اقتصاد الريف في منطقة حوض الشلف اقتصاداً تقليدياً قائماً أساساً على الزراعة المعاشية وتربية الحيوان وبعض النشاطات الحرفية البسيطة. وهو يختلف تماماً عن اقتصاد الأوروبيين المتميز بكونه قطاعاً حديثاً يستحوذ على أجود الأراضي ويمتلك العتاد والوسائل الحديثة.

شكل سكان الأرياف في عمالة الشلف 88% من سكان العمالة - البالغ عددهم 650 ألف نسمة - وهي نسبة عالية جداً تفوق المعدل الوطني آنذاك كما يبينه المخطط أسفله.

شكل 2

نسبة سكان الأرياف والحواضر في عمالة الشلف والجزائر



(Moati, s.d., p. 14) المصدر:

1. الزراعة

اعتبرت منطقة الشلف من أهم مناطق الاستيطان بالجزائر للعوامل الطبيعية والجغرافية المذكورة سالفا والتي تؤهلها للنشاط الزراعي بالدرجة الأولى.

تعتبر الحبوب وخاصة الشعير من المحاصيل الرئيسية التي يفضل المسلمون زراعتها لاعتبارات عدة أهمها: كونها من الزراعات الجافة التي تمتاز بالقوة والصمود، كما يمكن حصادها ونقلها بطرق تقليدية في ظل غياب التقنيات

2. حوض الشلف في التقطيع الإداري الاستعماري

كثيراً ما يبرر الغزاة والمستعمرون غزوهم لبلدان أخرى بحجج ظرفية واهية ويزعمون أن عملياتهم العسكرية محدودة في الزمان والمكان ومحددة الهدف. لكنه بمجرد أن تبدأ أقدامهم أرض هذه البلدان وينتشون بالانتصارات الأولى حتى يوطنوا أنفسهم على البقاء الدائم.

وهذا ما حدث بالنسبة للغزاة الفرنسيين في الجزائر. فبعد انتهاء مرحلة التردد المزعومة (1830 - 1834)، سعت الإدارة الفرنسية إلى تكريس الهيمنة الاستعمارية باعتبار الجزائر من ممتلكات فرنسا الأفريقية. وأخذت تعمل بكل الوسائل على التوسع في طول البلاد وعرضها من أجل إتمام احتلال كل الجزائر متحملة تكاليف وعواقب ذلك بسبب المقاومة التي أبداهها الشعب الجزائري.

وبالنسبة لمنطقة حوض الشلف فقد تمت السيطرة عليها بين 1842 و 1846. وجاء تأسيس مدينة أورينفيل بعد ثلاثة عشر سنة من سقوط مدينة الجزائر، وبعد أن تمت السيطرة على أهم الموانئ الرئيسية ومنها ميناء وهران، وفي وقت كان الصراع على أشده بين الأمير عبد القادر والقوات الغازية وعلى رأسها الجنرال بيجو (Bugeaud) (أصبح مارشالاً في جويلية 1843م) (L'ENCYCLOPÉDIE Afn, 2022).

كان تاريخ إنشاء المدينة في 16 ماي 1843م. وبعد عشرين يوماً من هذا التاريخ قرر وزير الحربية المارشال سولت (Soult) تسمية المدينة باسم «أورينفيل» (Orléansville) تخليداً لذكرى الابن البكر لملك فرنسا الأمير فرديناند دوق أورليان (Ferdinand duc d'Orléans) الذي لقي حتفه في حادث سير بباريس. (Luc Tricou, 2004)

3.3. النشاط التجاري

اقتصرت النشاط التجاري على المبادلات التي كانت تتم على نطاق ضيق أي داخل العمالة لأن التنقل بالنسبة للأهالي عموما كان صعبا. فلم يكن لهم حق أو حرية التنقل خارج حدود بلدياتهم إلا بترخيص خاص أو ما يعرف بـ: «بطاقة السفر» (Hiribarren, 2020).

كانت المبادلات التجارية تتم عبر الأسواق التي كان أسبوعية أو موسمية. فالأسواق الأسبوعية كانت تعرف باليوم الذي تنعقد فيه كسوق الأحد أو الاثنين أو الثلاثاء... كما كانت تقام أسواق موسمية مرتبطة ببعض المعتقدات الدينية وتقام في أماكن تواجد أضرحة «الأولياء الصالحين» كعودة «سيدي صالح» بسنجاس، و«سيدي زيان» بتاجنة و«سيدي امحمد بن عودة» بناحية غليزان وغيرها.

كانت السلع المتبادلة تتمثل في الحبوب بمختلف أصنافها والخضر والفواكه والأصواف والملابس والعتاد الفلاحي البسيط. وكانت بعض المبادلات تتم بالمقايضة. ويذكر لنا الوالد⁽³⁾ أنه في نهاية الحرب العالمية الثانية انتشر التهريب وتجارة السوق السوداء، وخاصة في فترة ما يعرف بـ: «عام البون» أو عام الشر وهي فترة عصيبة من تاريخ الجزائر امتدت من سنة 1944 إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وأنه هو نفسه اشتغل بتهريب المواد الغذائية كالسكر والبن وغيرها من المواد الغذائية التي خضعت للتقنين (بوتشيشة، 2022).

شكل 3

نموذج لبطاقة التموين (بلدية تنس المختلطة)



المصدر: من الأرشيف الخاص للباحث.

4. ريف منطقة حوض الشلف خلال الثورة

تعتبر فترة الثورة التحريرية (1954 - 1962) من أشد الأعوام وطأة على سكان الريف فبالإضافة إلى ما خلفه زلزال سبتمبر 1954 عانى الريف الشلفاوي كغيره من أرياف الجزائر من ضغط وقمع السلطات الاستعمارية في محاولة منها لعزل سكان الريف - البالغ عددهم 585 ألف نسمة سنة 1959 (J.C Jauffret, 2001, p. 342) - عن الثورة التحريرية بغرض القضاء عليها.

الحديثة، كما يمكن تخزينها لمدة طويلة، ناهيك أن طبيعة الأراضي التي تركها لهم المستوطنون لا تصلح إلا لهذا النوع من المحاصيل، وكذلك كونها مصدر الغذاء الرئيس للسكان.

تشكل الحبوب 85% من المساحة المزروعة وتساهم بـ 29% من الناتج الخام للعمالة. بلغت مساحة الأرض المزروعة سنة 1959م بالنسبة للقطاع التقليدي 148 ألف هكتار و 48 ألف هكتار للقطاع الحديث. ومع ذلك اعتبرت منطقة الشلف من المناطق التي تعتبر فيها زراعة الحبوب المربحة من أكثر النشاطات الزراعية التي يسهل ممارستها. (Pourcher, 1900-8, pp. 4)

3.2. تربية الحيوان

اعتبرت المدرسة الكولونيالية أن الجزائري التقليدي راعي مواشي بلا شك⁽¹⁾. فكان هذا النشاط ممارس في منطقة حوض الشلف إلى جانب الزراعة طبعا. ولكن هذا النشاط لم يكن يساهم في اقتصاد العمالة، واعتبر بالنسبة للمسلمين وسيلة إ ذخار. وكان الفلاح الجزائري يجهل أدنى طرق وتقنيات تربية المواشي الحديثة، ومنها على سبيل المثال طريقة حفظ الأعلاف العشبية بكامل مكوناتها الغذائية والمعروفة بـ: «L'ensilage»⁽²⁾. وبالإضافة إلى ما سبق فإن المربي الجزائري يجهل تماما معادلة الغذاء المتوازن الذي يقدم للمواشي (بوتشيشة، 2019)

أن من أهم الأنعام التي تربي في المنطقة نجد الأغنام والماعز خاصة في سفوح الجبال المحاذية لوادي الشلف. فالأغنام تمثل مصدر دخل مالي مباشر بالنسبة للفلاح الجزائري؛ وهو ما يفسر تعدادها المعتبر والذي قدر بـ: 120 ألف رأس. ويتم رعيها في الأراضي التي تركت للراحة أو في حقول الحبوب بعد الحصاد. أما بالنسبة للماعز فهو الثروة الوحيدة لسكان الأرياف الفقراء الذين لا يملكون أي قطعة أرض، وهي توفر اللبن لعائلة مربيها لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر في السنة، كما تمكنه من شراء ما يسد رمقه من الحبوب جراء بيع بعض الجديان. وهي أي الماعز بالنسبة للسلطات الإستعمارية «عنوان للغابة التي تموت وللترية التي تنجرف»؛ لذا كان الفلاح الجزائري يعاني من الحظر التي تفرضها الإدارة الاستعمارية على رعي الماعز بالمناطق الغابية، بحجة أنها مخربة للغابة. (Moati, s.d., p. 40)

إلى جانب تربية الأغنام والماعز كان الجزائريون (الأهالي) يربون الأبقار، بحيث يشتري المربون الأبقار الهزيلة في نهاية الصيف من الأسواق المحلية كالشلف والعطاف والخميس وكافينياك (Cavignac) (سيدي عكاشة حاليا) وغيرها لتباع في شهر فبراير على أبعد تقدير للمسالخ. (Moati, s.d., 40-pp. 37)

(1) - فهو في نظر المستعمر ليس مربي بالطريقة الحديثة لتربية الحيوان (Moati, s.d., p. 37)

(2) - هو وسيلة للحفاظ على العلف الرطب من خلال التخمر اللاهوائي. وتضيف العشب بعيداً عن الشمس. وبالتالي نحصل على أعلاف تتراوح نسبة الرطوبة فيها من حوالي 50% إلى حوالي 85%. وهي طريقة ما زالت لحد الآن قليلة الاستعمال. (الباحث).

(3) - هني بوتشيشة (والد الباحث) (1924-.....) السن في سنة 2022 م 98 سنة.

شكل 5

أطلال نموذج للمساكن التي بنتها السلطات الاستعمارية في ريف منطقة الشلف المنكوبي زلزال 1954



المصدر: صورة التقطت من قبل الباحث في منطقة الشرايرية جنوبية الشلف بتاريخ: 7 سبتمبر 2022.

5. 2. علاقة السكان بالسلطات الاستعمارية

لم تكن الإدارة الفرنسية تتعامل مباشرة مع سكان وانما كان يتم ذلك بواسطة أعوانها من الجزائريين مثل: «القايد» و«كبير البقعة» (أي زعيم القرية أو الدوار) وأعوان الشرطة البلدية (les gardes-champêtres) وهؤلاء كان يطلق عليهم «المخازنية». وكانوا يعاملون الأهالي بمنتهى القسوة كأن يضربونهم بالسياط، أو يطلبون منهم الرشوة مقابل حصولهم على الخدمات، وأحيانا يسجلون عليهم ضرائب وهمية. (بوتشيشة ه، 2022).

وكانت معاناة الأهالي في الريف خلال الثورة تزداد عندما كانت الجيش الفرنسي يقوم بحملات التمشيط بحثا عن المجاهدين ومراكز تموينهم. وخلال عمليات التمشيط هذه كان الرجال يلجؤون للاختباء داخل حفر تحت الأرض وبين أشجار التين الشوكي. بينما تتجمع النسوة في منزل إحدى كبيرات السن. وتلجأ الشابات منهن الى تلطخ وجوههن بالرماد خشية تعرضهن للاغتصاب من قبل العساكر الفرنسية. (بوتشيشة ه، 2022).

بعد كل حملة تمشيط كانت القوات الفرنسية تخلف وراءها قرى محرقة ومحاصيل متلفة وماشية معقورة، إن لم تسوقها معها وهي منسحبة. وغالبا ما كانت تجر معها عشرات المعتقلين من أبناء القرى والمداشر أو ترتكب في حقهم المجازر المروعة كما حدث في منطقة أبو الحسن.

ففي 28 جوان سنة 1958 وإثر مقتل ضابط فرنسي في المنطقة خرجت القوات الفرنسية ليلا وشرعت في إطلاق النار على كل من تصادفه من الجزائريين حتى وصلت الى حي شعبي وارتكبت المجزرة التي خلفت 157 قتيلا و53 جريحا. (زير، 2012-2013)

لذا فسكان الأرياف تحملوا العبء الأكبر للثورة التحريرية. فالريف الجزائري كان الحاضنة الأساس للثورة. إذ كان عليه إيواء المجاهدين وإطعامهم وغسل ملابسهم ومداواة جراحهم ومراقبة العدو وإيصال رسائلهم وضمان اتصالاتهم. (Benoit Dusanter, 2022).

شكل 4

صورة لمسكن ريفي بعمالة الشلف خلال الفترة الاستعمارية. الصورة التقطت بمنطقة بني راشد سنة 1958



المصدر: (Patrimoines d'El Asnam, 2022)

4. 1. زلزال الشلف سبتمبر 1954

في 9 و 10 سبتمبر 1954، تسبب زلزال شديد في دمار شبه كامل للمدينة. إذ بلغت نسبة الدمار 80 %. وكانت الحصيلة فادحة: 1600 قتيل (منهم 66 أوروبيا)، و 5000 جريح، و65 ألف منزل مدمر بما في ذلك 25 ألف متضررة للغاية. وقد وقع الضرر الأكبر على الجزائريين (الأهالي) وخاصة سكان الأرياف لهشاشة مساكنهم وارتفاع أعداد أفراد الاسرة الواحدة. وأصبح 60 ألف منهم بدون مأوى. (Malbos, 1955, pp. 66 - 68)

وكانت المنطقة قد عرفت هزات أرضية متوسطة القوة في صائفة 1934، شعر بها سكان المناطق الممتدة على طول الساحل من الجزائر إلى تنس، والجهة الغربية من سهل متيجة، ومرتفعات الظهرة وزكار وجبال الونشريس وعلى طول وادي الشلف (Malbos, 1955, pp. 66 - 68)

وبعد أقل من شهر (9 أكتوبر 1954) صدر مرسوم حكومي بتشكيل لجنة -تابعة للحاكم العام - لإعادة بناء المدينة والمناطق المتضررة وفق قواعد البناء الحديثة والمقاومة للزلازل. وقد أستدعي المهندس «جون بوسي» (Jean Bossu, 1983) ليرأس المماريين الذين صمموا مخططات الأحياء والبنى التحتية وأشرفوا على إنجازها. وكان من أهم التصاميم التي أنجزها «بوسي» مبنى المركز التجاري (Saint-Réparatus) الذي تهاوى مع غيره من العمارات في زلزال 1980 وكانها قصور من ورق. (Mouaziz-Bouchentouf, 2022)

تقرير مسرب من ديوان الحاكم العام للجزائر السيد «دي لوفريي» (Delouvrier) نشرته جريدة «لوموند» (le Monde) بتاريخ 18 أبريل 1959 فإنه تواجدت بالمنطقة محتشدات سرية تديرها البلديات ولا علم للحكومة بها، وكانت أوضاع السكان المحتشدين سيئة للغاية ومنها ارتفاع معدلات الوفيات لدى الأطفال (بمعدل طفل كل يوم)، واقترب السكان من حافة المجاعة. (J.C Jauffret, 2001, pp. 336-335)

5. خاتمة

في الختام يمكن القول أن الريف في منطقة الشلف ظل مهماً حيث طيلة الوجود الاستعماري لتركيز الاهتمام على المدن حيث كان التواجد الاستيطاني مكثفاً، ولاعتبار الريف عامّة لا يدخل في نطاق «الجزائر المفيدة» (l'Algérie utile) بالنسبة للمستعمر.

إن هذا التهميش والإهمال من قبل السلطات الاستعمارية أثر كثيراً على الأوضاع المعيشية والاجتماعية لسكان الريف فانتشر الفقر والجهل والأمراض وتدنى مستوى المعيشة.

ومع اندلاع الثورة التحريرية وتوسع نطاق نشاطها في المنطقة استشعرت السلطات الاستعمارية خطورة الريف على مصير وجودها بالجزائر باعتباره الحاضنة الأساسية للثورة، فحولت اهتمامها إلى الريف بمحاولة إصلاح أحوال الفلاحين في إطار الإصلاحات الزراعية من جهة؛ ومن جهة أخرى لجأت إلى أساليب القمع الشديدة عن طريق الحملات العسكرية وإقامة المحتشدات ومراكز الاعتقال والتعذيب.

وفي النهاية انتصرت الثورة التحريرية وفشلت سياسة «العصا والجزرة» التي انتهجتها فرنسا لاحتواء الريف وعزله عن الثورة.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

- كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

عبد القادر بوتشيشة (2023) واقع الريف بمنطقة الشلف أواخر الفترة الاستعمارية (1945-1962)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 15، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات: 539-544.

كانت فرنسا تعمل ما في وسعها للقضاء على الثورة أو على الأقل عزلها عن الشعب في إطار سياسة التهدئة المزعومة. لذلك لجأت إلى حظر التجوال وفرض الإقامة الجبرية وإنشاء مراكز التعذيب والمعتقلات والمحتشدات.

من أشهر مراكز الاعتقال والتعذيب نذكر مركز الاعتقال والتعذيب «بوفيس» (خمس نخلات حالياً). كان هذا المركز ذائع الصيت لكثرة المعتقلين - من سكان المنطقة أو المناطق المجاورة - الذين أُستنطقوا أو عُذبوا أو قتلوا به.

كما لجأت السلطات الاستعمارية إلى إخلاء كل المناطق المعروفة بولائها لجيش التحرير الوطني من السكان، وجعلها مناطق محرمة وحشد سكانها في المحتشدات أو ما يعرف بمراكز التجمع التي تعرض فيها الجزائريون لشتى الأنواع الانتهاكات (قشيش، 2018)

لقد تسببت السياسات الاستعمارية تجاه المناطق الريفية - لعشرات السنين قبل الثورة - في تهميش هذه المناطق؛ «فقد كانت السياسات الاقتصادية تهتم بتنظيم وتحديث المدن التي استوعبت تقريباً كل النمو الديموغرافي السريع جداً لمدة أربعين عاماً، دون اهتمام كبير بهذه الأرياف» (Bataillon, 2020)

ثم جاءت الإجراءات الاستثنائية بعد اندلاع الثورة لتزيد الطين بلة وتضاعف المعاناة والبؤس، وخاصة القمع الشديد المصاحب للحملات العسكرية، وإنشاء معسكرات التجميع ومراكز الاعتقال. مما تسبب في هجرة واسعة نحو المدن ونحو فرنسا.

3.4. المحتشدات

في الفترة من 1954 إلى 1962، عمد الجيش والإدارة الفرنسيين إلى ما سماه «بإعادة تجميع» أكثر من مليوني جزائري في حوالي ألفي معسكر (محتشد). ففي خضم حرب الاستقلال، سعت السلطات إلى حرمان جبهة التحرير الوطني من كل الدعم اللوجستي والسياسي ومراقبة السكان المشتبه في دعمهم للثوار. فأدى هذا إلى عزل السكان عن أراضيهم ومصادر رزقهم. وأصبحوا يعتمدون على ما تقدمه لهم جمعيات الإغاثة وخاصة الكاثوليكية. (Lepoutre, 2022)

أراد بعض المسؤولين الفرنسيين تقديم سياسة التهجير القسري للمدنيين - الأضخم في القرن العشرين - كأداة لتحديث وتطوير الريف في الجزائر. في الواقع أدى الإنشاء التعسفي وغير المخطط لهذه «القرى الجديدة» إلى تسريع تدمير المجتمع الجزائري الذي أنهك بفعل قرن ونصف من الاستعمار الاستيطاني، وما زالت آثاره محسوسة حتى يومنا هذا. (Lepoutre, 2022)

كانت المحتشدات التي أقيمت بمنطقة الشلف من أسوأ المحتشدات التي أقامها الجيش الفرنسي بالجزائر. فحسب